# كيف اصبح مسعود البارزاني اللاعب الاول في تقرير مستقبل كردستان ؟

## و الطرف النافذ في المعادلة السياسية العراقية

---

شهد العراق، في ايلول 1996، حدثا تاريخيا بتحول مسعود البارزاني من طرف محاصر في حالة تراجع امام قوات جلال الطالباني المدعومة ايرانيا، الى حاكم كردستان العراق الفعلي، و ما كان لهذا ان يتحقق لولا تحالفه "التكتيكي" مع صدام حسين.

السؤال: هل جعل هذا منه "عميلا" لصدام حسين، او "خائنا" للاكراد كما يدعي جلال الطالباني وبعض اوساط المعارضة العراقية؟

كتب جون سمبسن، محرر الشؤون الدولية في هيئة الاذاعة البريطانية والذي غطى حرب الخليج الثانية وتعرف على كردستان والبارزاني عن كثب، قائلا (صاندي تليغراف 15/9/1996): "ان البارزاني ليس العوبة بيد صدام"، وتؤكد افتتاحية "الايكونومست" البريطانية بعددها 14 ايلول ان: "الادعاء بان مسعود البارزاني وحزبه الديمقراطي الكردستاني هما ادوات بيد بغداد، هو قول هراء (Rubbish)".

واذا كان البارزاني ليس اسيرا لصدام، فانه بذات الوقت ليس عدوا له، بل اصبح البارزاني وللمرة الاولى محاورا كفؤا لصدام.

ان صفقة صدام- مسعود بشأن اربيل عادت عليهما بنتائج ايجابية ماكان يمكن تحقيقها دون الطرف الاخر، وبهذا المعنى كلا الطرفين مدين للاخر بما لايجعل اياً منهما اسيراً للثاني.

فقد قايض البارزاني دعم صدام العسكري باسباغ الشرعية على دور المركز في شمال العراق الامر الذي كان غائبا منذ 1991. وبالمقابل يصبح اي استعداء للبارزاني من قبل المركز خسارة لتلك الشرعية التي بغداد بأمس الحاجة اليها داخليا واقليميا ودوليا، الامر الذي يجعل من مصلحة الطرفين التعايش المتكافىء ضمن معادلة سياسية صعبة تسمح بالتعايش دون التحالف مع ترك الابواب مفتوحة للمستقبل.

ان صعوبة هذه المعادلة تعود للضغوط الداخلية والاقليمية والدولية المتناقضة على مسعود البارزاني: فهناك تحدي الطالباني المستمر باثارة المشاكل، ومطالبة حزب العمال الكردستاني بحرية العمل في وقت تطالب تركيا بانهاء وجوده العسكري في شمال العراق، ومن اجل ذلك تريد اقامة "حزام امني" والاستعانة بتركمان العراق كورقة ضاغطة (تصريح تشيلر بان هناك 700 الف تركماني في شمال اربيل، وثلاثة ملايين ونصف تركماني جنوب اربيل)، ولكن

اي تصاعد للنفوذ التركي في شمال العراق سوف تعتبره سورية تهديدا لها وبالتالي ستضغط على البارزاني مباشرة او من خلال دعم حزب اوجلان، اما ايران التي تخلت عن دعم الطالباني بمواجهة قوات البارزاني تحاشيا من مواجهة مع امريكا فانها تملك اكثر من ورقة للضغط على البارزاني منها استخدام جلال الطالباني او الاحزاب الاسلامية الكردية، واكثر من هذا وذاك هناك الضغوط الامريكية التي لاتريد لطهران او لبغداد اي نفوذ في الشمال العراقي ولكن دون الاستعداد لتحمل مسؤولية حماية امن واستقرار المنطقة.

## البارزاني : الرقم الضروري لأية معادلة

ولكن رغم ضخامة هذه الضغوط، الا ان تناقض بعضها مع البعض الاخر يوفر للبارزاني فرصة تحييدها وبالتالي عدم سقوطه بيد اي منها، وبما يجعل من وجوده ضرورة لمعظم الاطراف خوفا من الاحتمال المطروح بدلا منه.

فبالنسبة لتركيا، ان سيطرة الحزب الديمقراطي على كردستان العراق يوحد المنطقة تحت قيادة واحدة بما ينهي الصراعات الداخلية-الحاضنة الطبيعية لنشاط حزب العمال الكردستاني. كما ان تلك القيادة ضرورية لضمان تدفق النفط العراقي عبر الاراضي الكردية الى الاراضي التركية بما يعيد لتركيا موارد مالية هي بامس الحاجة لها. وفي استقرار كردستان العراق نهاية لمخاوف تركيا من طوفان بشري نتيجة الصراعات الكردية الكردية، او الكردية العراقية، الامر الذي يلغي الحاجة للتجديد لعملية "توفير الراحة"، وبذلك يحقق اربكان احد وعوده الانتخابية. بهذا المعنى يصبح- في غياب عودة السيطرة المركزية على كردستان بسبب الفيتو الامريكي- استمرار البارزاني في سيطرته على شمال العراق ضرورة تركية.

اما بالنسبة لايران، فربما خسرت بعض نفوذها باندحار حليفها الطالباني، ولكن تبقى هذه الخسارة اقل بكثير من ان يسقط البارزاني بيد صدام حسين، او ان يكون اسيرا للدعم التركي او الامريكي. وعليه من مصلحة ايران الحفاظ على علاقة طيبة مع البارزاني بما يعزز استقلاليته عن الاخرين، ويجعل منه منطقة عازلة عن تركيا والولايات المتحدة.

ان التعايش مع البارزاني يخدم مصالح ايران اكثر من استبداله بحليف مطلوب الدخول بمواجهة مع كافة دول الجوار الاخرى من اجل حمايته.

ومن ذات المنطلق، يمكن النظر للموقف السوري الذي لايملك القدرة في ان يكون اللاعب الاول في العراق او في شماله، ولكن يهمه ان لا يجير البارزاني لصالح موقف معاد لسوريا، وعليه يصبح من صميم المصلحة السورية تحصين استقلالية البارزاني السياسية بالانفتاح عليه لمعادلة الضغوط التي قد تمارسها تركيا.

والامر الذي يسهل التعامل مع البارزاني بالنسبة لدول الجوار التي تخشى من انتشار الدعوة الانفصالية في اوساط الاقليات الكردية في بلدانها، هو ان البارزاني رائد الدعوة للعيش في اطار وحدة العراق وليس الانفصال.

## البارزاني وامريكا: رب ضارة هي مفيدة

اذا تذكرنا ان واشنطن غظت النظر عن دور ايران في تسليح مسلمي البوسنة من اجل ضمان توازن عسكري في ظرف كان يحظر بيع السلاح للبوسنة، فان تدخل صدام لصالح البارزاني ليس بالمجمل ضد مصلحة واشنطن وذلك للاسباب التالية:

- عودة الاستقرار في كردستان ينزع فتيل الصراعات الاهلية ويحد من فرص "التغلغل" الايراني بحجة الوساطة او الترجيح بين الاطراف المتقاتلة، كما ان تعزيز استقلالية البارزاني تجعل من كردستان حاجزاً جغرافيا بين القطبين الاقليميين سوريا وايران.

- ان وحدة الادارة في شمال العراق دون الانفصال عن بغداد، يحسم المخاوف من مشاريع انفصالية كردية تهدد مصالح تركيا الحليف الاستراتيجي لامريكا.

ان هذه الخلفية تمكننا فهم موقف واشنطن في عدم ضرب القوات العراقية في الشمال، وجاءت الضربة الصاروخية للجنوب لاعتبارات اخرى لاتتعلق بالشأن الكردي.

ان ضرب واشنطن للشمال كان سيعطي ايران اشارة تفسر بالرضا على تواجدها في الشمال العراقي، كما لم يكن من مصلحة واشنطن ضرب ما تبقى من قوة عسكرية تقليدية عراقية لصالح تفوق عسكري ايراني. ان التحذير الامريكي لايران من التدخل لصالح جلال الطالباني، وعدم توجيه ضربة للقوات العراقية في الشمال كانت وراء سقوط الطالباني اكثر من دعم الجيش العراقي للبارزاني.

ان هذا النهج الامريكي اقنع الطالباني بتخلي واشنطن عنه، في وقت لم تكن ايران مستعدة لدخول مواجهة عسكرية مع واشنطن من اجل حمايته، الامر الذي جعل من الانسحاب خيار طالباني الوحيد. ارسل احد اعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي الكردستاني فاكس الى رفاق له في الخارج بتاريخ 31 اب 1996 يقول فيه: "معنوياتنا عالية جدا لاتنتهي بسقوط اربيل للعلم. . . نترقب تحركاً بسيطاً من قوات المطرقة (التحالف الامريكي- البريطاني- الفرنسي) عندها ستسمعون كيف نسحق النظام وذيوله".

وعندما لم تتحقق الضربة العسكرية الامريكية "المرتقبة" سقطت السليمانية دون قتال او تدخل الجيش العراقي.

ان نهج الطالباني الزئبقي ومحاولته لعب ورقة ايران لتوريط او على الاقل دفع امريكا لتقديم تنازلات على حساب مسعود انعكست سلبا عليه. ان السرعة التي تم فيها ترتيب اللقاء بين مسعود البارزاني وروبرت بيللترو مساعد وزير الخارجية الاميركي لشؤون الشرق الاوسط في انقرة تؤكد اعتراف واشنطن العملي بالبارزاني حاكما منفردا لكردستان العراق، رغم حديثها عن ضرورة المصالحة بين البارزاني والطالباني.

اكدت واشنطن ان كردستان لاتدخل ضمن المصلحة الاستراتيجية الامريكية، وبانها غير معنية ان تكون طرفا في الحرب الاهلية بين الاكراد، وبذات الوقت غير مستعدة لتحمل عبيء ادارتها او الاعتراف باستقلالها، وبقيت تتعامل معها كحالة انسانية بانتظار حل يتم بسقوط صدام حسين.

ولكن بقاء صدام حسين في الحكم جعل من استمرار حالة الانتظار الكردية حقلا للانفجارات التي ليس بمقدور الاكراد او دول الجوار اخمادها، من هنا تصبح اقامة ادارة فاعلة بزعامة البارزاني حلا مناسبا ينهي بؤر الصراع من جهة ويبعد المنطقة عن النفوذ الايراني ويرضي تركيا، فبهذا المعنى اصبحت واشنطن بحاجة للبرزاني بقدر ماهو بحاجة لها الامر الذي يمكنه من الوقوف بوجه الضغط الامريكي لقطع العلاقة مع بغداد.

ان الطعم المر لتجربة البارزانيين مع امريكا لايزال في فم مسعود، الذي لايريد ان يستخدم كورقة ضد صدام ليتم التخلي عنه فيما بعد كما حصل عام 1975. ثم ماهي ضمانة مسعود ان امريكا لاتتخلى عنه في حال مجيء نظام عسكري بديل لصدام في بغداد.

وان الحماية التي يريدها مسعود من امريكا ليست ضد صدام فقط وانما ايران وتركيا كذلك، والتنمية الاجتماعية والاقتصادية التي كردستان بامس الحاجة اليها لاتوفرها الاغاثة الانسانية بل الاندماج بالاقتصاد الوطني العراقي مادامت كردستان جزءاً من هذه الدولة ومن غير المسموح انفصالها. وما دامت واشنطن ليست في وارد "اسقاط" النظام العراقي وان بغداد هي المرجعية في النهاية لاي حل كردي فمن حق البارزاني ان يعمل على اخذ مايمكن اخذه من صدام اليوم على انتظار مجيء حاكم عسكري مجهول او حرب اهلية تحرق الشمال والجنوب.

ولكن يبقى البارزاني بحاجة للغرب وامريكا بالذات لضمان عدم نقض اي اتفاق كردي-عراقي.

ان المعادلة التي يمكن ان يجمع بها البارزاني هذين النقضين -امريكا وصدام- هي قيام حالة تعايش اجتماعي واقتصادي مع بغداد دون التحالف سياسيا.

## صدام ومسعود : اكتشاف الواحد للأخر

يقول الرئيس كلينتون انه يتمنى ان يكون اللقاء بين صدام ومسعود مجرد "زواج مؤقت"، ولكن في واقع الحال لم يحصل الزواج كي يتم الطلاق. وما تشهده اليوم كردستان هي فترة "تعرف" جديدة بين صدام ومسعود قد تنتهي

بزواج اذا توصل الطرفان لقناعات مشتركة قائمة على التنازل المتبادل من خلال الحوار وبناء جسور الثقة وليس، بالتأكد، استخدام السلاح فبغداد اضعف من ان تفرض الحل العسكري كما ان كردستان انهكتها الحروب.

ان أسوء صفقة يمكن ان يحققها الطرفان هي اقتسام السلطة، بانفراد صدام دكتاتورا على عرب العراق، ومسعود دكتاتورا على الاكراد.

اما الخيار الثاني فهو تحقيق مصالحة وطنية عبر حوار وطني ينتهي بميثاق عراقي جديد يضمن المشاركة المتكافئة لمكونات المجتمع العراقي في دولة مؤسسات.

ان الديمقراطية او الاستعداد لقبول المشاركة تفرضها الضرورة، فالمأزق الوطني العراقي الحالي تجاوز قدرة الحاكم في حله، كما عجزت اطراف المعارضة العراقية في حسمه لصالحها، من هنا ضرورة تسوية وطنية تعتمد التنازل المتبادل في اطار مصالحة وطنية.

ان المصالحة كالتصفيق بحاجة ليدين لتحقيقها، ومن هنا اهمية مسعود البارزاني كطرف محاور مع الحاكم في بغداد.

وبهذا المعنى لم يعد مسعود البارزاني اللاعب الاول في كردستان فحسب، بل اصبح الطرف الضروري للبدء في مسيرة اي حوار وطني.

ان نجاح مسعود في جعل كردستان "قلعة التعددية والحرية"، كما وعد، يبداء بأجراء انتخابات حرة باشراف اطراف محايدة بما يكرس شرعيته من جهة، ويخلق نموذجا ديمقراطيا في كردستان يشد العراقيين جميعا. واذا كان البارزاني غير مستعد لتوظيف المنطقة لمغامرات عسكرية واستخبارية ضد المركز انسجاما مع المعادلة الجديدة مع بغداد، فان من حقه بل واجبه ان يفسح المجال للعمل العراقي المعارض سياسيا من منطلق الولاء للوطن رغم الاختلاف مع الحاكم وهذه مهمة القوى الديمقراطية المؤمنة بعراقيتها القائمة على الولاء للارض-الوطن وليس العرق او الطائفة، الامر الذي يتطلب ضمان سلامتهم وخلو الشمال من اجهزة بغداد القمعية.

واذا كانت شرعية الحاكم في تحركه في الشمال جاءت استجابة لدعوة البارزاني، فياترى ألم يحن الوقت للاستجابة والانفتاح على شعب العراق في الوسط والجنوب؟ وفي الوقت الذي تخاطب صحافة بغداد الولايات المتحدة وتدعوها لموقف "حضاري" و "عقلاني" يتمثل بـ "الحوار" ترفض ذات السلطة الحوار مع القوى والشخصيات العراقية المستقلة بحجة ان المعارضة كل المعارضة "عميلة".

وفي خضم كل تلك المتناقضات ترتفع اصوات في المعارضة العراقية وبغداد مشككة ومتشنجة، فعدي صدام حسين يحذر في اشارة الى البارزاني في مقال له بتوقيع ابو سرحان (جريدة "بابل" 24/9/1996)، من "عدم الوقوع

في وهم ان تحالفاتنا الآنية مع بعض الاشخاص والتنظيمات والاحزاب في المنطقة مضمونة مئة في المئة. ان هؤلاء الاشخاص نشأوا وترعوعوا في أحضان الغرب، ولديهم تاريخ طويل في مؤامرات تفتيت العراق، والولاء للاجنبي".

وذات العملة، ولكن بوجهها الاخر، تكتب بعض اقلام المعارضة التي خسرت مواقعها في كردستان، (انظر مقالة كنعان مكية "سياسات الخيانة في العراق"-الحياة 18/9/1996) تخون البارزاني وتشكك فيه، دون ان تقدم اي بديل عملي يخرج الاكراد والشعب العراقي عموما من محنته.

ان انارة شمعة واحدة خير من الف لعنة للظلام.

**(الملف العراقي، العدد 58 - تشرين الاول 1996)**

❋ ❋ ❋